طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طـم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

« يَبِسَ العُشْبُ ذَبُلَ الزَّهْرُ

وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثبتُ إِلى الأَبَدِ »

(إشعياء ٤٠ : ٨)

العــــدد

العدد هو التسمية للسفر الرابع من أسفار التوراة مأخوذة من الترجمة السبعينية، وذلك للأرقام (الأعداد) الكثيرة الواردة بالسفر. أما الاسم العبري للسفر هو «في البرية» (١:١) الذي يتمشى مع مضمون السفر والذي يغطي رحلة إسرائيل من مصر إلى أرض موآب .

أقسام ومشتملات السفر

أولاً : الإعداد للارتحال من سيناء إلى كنعان (١:١ - ١٠:١٠).

١- التعداد الأول (١:١-٥٤).

٢- ترتيب الأسباط للمحلة والسير (٢ : ١ - ٣٤).

٣- التعداد وواجبات اللاويين (٣ : ١ - ٤ : ٤٩).

٤- شريعة الغيرة وغيرها (٥ : ١ - ٦ : ٢٧).

٥- تقدمات القادة وشرائع أخرى (٧ : ١ - ٨ : ٢٦).

٦- فصح السنة الثانية للخروج (٩ : ١ - ١٤).

٧- عمود السحاب وعمود النار (٩ : ١٥ - ١٠ : ١٠).

ثانياً : الرحلة من سيناء إلى فاران (١٠ : ١١ - ١٢ : ٢٦).

١- الارتحال من سيناء (١٠ : ١١ - ٣٦).

٢- الأحداث بين سيناء وقادش (١١ : ١ - ١٢ : ١٦).

أ- تذمر الشعب وعقاب الرب لهم في تبعيرة، وانتخاب السبعين شيخاً (أعطاهم سؤلهم وأرسل هولاً في أنفسهم) (١١:١-٣٥).

ب- مريم والبرص (١٢ : ١ - ١٦) .

ثالثاً : التيهان في قادش بالبرية (١٣ : ١ - ٢٠ : ١٣).

١- مهمة الجواسيس (رجال الاستطلاع) وتقريرهم عن أرض كنعان (١٣ :١-٣٣).

٢- رد فعل الشعب وغضب الرب عليهم (١٤ : ١ - ٤٥).

٣- شرائع وأحكام عامة (١٥ : ١ - ٤١).

٤- تمرد قورح وداثان وأبيرام (١٦ : ١ - ٥٠).

٥- عصا هرون (١٧ : ١ - ١٣).

٦- واجبات الكهنة واللاويين وشرائع التطهير (١٨ :١ -١٩ :٢٢).

٧ - موت مريم (٢٠ : ١) ومياه مريبة (٢ : ١٣).

رابعاً : الرحلة من قادش إلى عربات موآب (٢٠ : ١٤ - ٢٢ : ١) .

١ - إسرائيل وأدوم (٢٠ : ١٤ - ٢١) .

٢- موت هرون وهزيمة الممالك المقاومة (٢٠ : ٢٢ - ٢٢ : ١).

خامساً : أحداث وقعت في عربات موآب (٢٢ : ٢ - ٣٢ : ٤٢) .

١ - بالاق بن صفور وبلعام بن بعور (٢٢ : ٢ - ٢٤ : ٢٥) .

٢- بعل فغور وخطية الشعب في شطيم وغيرة فينحاس (٢٥ : ١ - ١٨)

٣- التعداد الثاني (٢٦ : ١ - ٦٥) .

٤- بنات صلفحاد (٢٧ : ١ - ١١) .

٥- إختيار يشوع بن نون للعمل بعد موسى (٢٧ : ١٢ - ٢٣) .

٦- تعاليم خاصة بالمحافل والأعياد والمواسم مثل السبت ورأس الشهر والفصح والكفارة (٢٨ : ٣٠) .

٧- الحرب المقدسة ضد مديان (٣١ : ١ - ٣٤) .

٨- استيطان سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى شرق الأردن (٣٢ : ١ - ٤٢) .

٩- دليل الرحلة من مصر إلى عربات موآب (تلخيص) (٣٣ : ١ - ٥٦) .

سادساً : تعاليم ختامية قبل دخول أرض كنعان والاستيطان بها (٣٤:١-٢٩).

سابعاً : مدن اللاويين ومدن الملجأ (٣٥ : ١ - ٣٤) .

ثامناً : بنات صلفحاد وميراثهن (٣٦ : ١ - ١٣) .

كاتب السفر

يعد موسى هو الشخصية الرئيسية في السفر، وكل الأحكام والوصايا الواردة بالسفر أعطيت لموسى وهرون «وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع » (عدد ١:١). كما تكرر كثيراً في السفر التعبير « وكلم الرب موسى ... » (١٤:٣، قارن ١:٦، ١:٨). ومما هو مؤكد أن هذه الشرائع والأحكام تعود إلى زمن التيهان في البرية (١:٩، ١٥-١٦، ١٥:٣٢-٣٤). كما وقع الكثير من الأحداث التاريخية، وأمثلة ذلك (١:١٣، ٢، ١:٢٠، ١:٢٢). ولم ترد أية إشارة أن موسى كتب أياً منها. غير أنه وردت الإشارة بأن موسى كتب عن مخارج (خروج) الشعب برحلاتهم من مصر أرض العبودية حسب قول الرب (٢:٣٣). كما جاء بأن موسى كتب التوراة وسلمها لبني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل (تث ٩:٣١) .

والمقصود بالتوراة هنا كل الفرائض والوصايا والشرائع والأحكام التي تكلم بها الرب (يهوه) إلى موسى. ويتفق الكثيرون من العلماء أن سفرالعدد وباقي الأسفار الأخرى الموسوية أخذت صياغتها وشكلها الحالي، في زمن ما بعد موسى. وهنا ينبغي التفرقة ما بين هذا الكلام وبين ما هو خاص بالشرائع والوصايا والأحكام، التي يعد موسى وبكل تأكيد كاتباً لها. وهو أصل وكاتب هذه الشريعة بأمر الرب .

مصادر كتابة السفر

يرى العلماء أن كاتب السفر استعان بالكثير من المصادر، سواء الشفوية منها أو المكتوبة. وترجع بعض هذه

المصادر إلى زمن بعيد. فقد وردت بالسفر قصائد شعرية لها طابع كتابة قصائد الشعر القديمة (٢١ : ١٤ - ١٦)، ومفردات جغرافية قديمة وهامة (٢٢ : ٥) تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م كما تثبتها الحفريات. وتبعاً لنظرية المصادر، يرى بعض العلماء العصريين أن سفر العدد ينسب إلى المصدر[P] والمصدر [E]J فالأصحاحات (١ : ١ - ١٠ : ١٠، ١٥، ١٨ - ١٩، ٢٩ - ٣١) وبعض النصوص الأخرى تنسب إلى المصدر [P]. والأصحاحات (٢٢ : ٢ - ٢٤ : ٢٥، وأجــزاء من ١٠ : ١١ - ١٢ : ١٦، ١٤ : ١٦، ٢٠ - ٢١، ٢٥ - ٢٧، ٣٢ - ٣٦) تنسب إلى المصدر[E]J. وقد ثبتت سطحية هذا الاعتقاد الذي لا يستند إلى الأدلة المقنعة. كما أن سفر العدد يعد ملحمة تاريخية رائعة لحياة إسرائيل وما مرت به من أحداث تاريخية مبكرة في برية سيناء، حتى وصولها إلى أرض موآب. كما وردت بالسفر المواد الوافية التي تقدم مفهوماً صادقاً، وتوضيحاً لدعوة إسرائيل وقيادة الرب له، ومنحها شرائع ووصايا وأحكاماً سماوية، على يد موسى نبيه لتخدمه خدمة مرضية.

وسفر العدد حقيقة تاريخية، حيث تضمن أحداثاً هامة وقعت لإسرائيل تاريخياً. ويرى مارتن نوت Martin Noth أن جماعات إسرائيل التي سكنت في أرض كنعان، واختلطت بجماعات إسرائيلية أخرى، واندثرت اختلافاتهم القبلية ليكوّنوا وحدة وكياناً واحداً، عدا بعض الإختلافات في ممارسة بعض الطقوس الدينية وكيفية إستيعابها. وهذا الرأي مبني على اعتقاد مارتن نوت Noth أن جماعة إسرائيل التي كانت في سيناء لم تكن نفس هذه الجماعات التي كانت تسكن في قادش قبل عبورها الأردن لتسكن في أرض كنعان، وربما يكون هذا تفسيراً لعدم تمسك بعض هذه الجماعات الإسرائيلية بالإله (يهوه). وبسهولة ساروا وراء عبادة الآلهة الغريبة. وقد اهتم كاتب السفر بتقديم القيمة اللاهوتية للأحداث العظمى التي أجراها الرب (يهوه) لشعبه والأحداث التي ذكرت ليست مرتبة بالضرورة ترتيباً تاريخياً أو تفصيلياً. وما قيمة هذه التفاصيل إذا لم تكن المعاني مدركة ومفهومة؟ غير أن قيمة هذه الأحداث وضحت تماماً بالسفر .

مضمون ورسالة السفر

سفر العدد هو أحد أسفار العهد القديم المقدسة المعلن فيه أعمال الله وعجائبه لشعبه، الذي ارتبط به بعلاقة شخصية حميمة خاصة، قصد منها الله أن يشهدوا له ويعلنوا اسمه بين شعوب الأرض كلها .

وتكمن رسالة السفر فيما يلي :

يهوه (الرب) وسط شعبه

إنه الرب الذي أتى بإسرائيل بذراع قوية ويد ممدودة من أرض الضيق والعبودية. وعبر بهم بحر سوف إلى برية سيناء، وسكن بينهم وفي وسطهم. وصنع معهم العهد بحفظه إياهم .

إنه الرب الذي قادهم في السحابة نهاراً وكانت ظلاً لهم، وفي عمود نار ليلاً ليهديهم (٩ :١٥ - ٢٣). وأعلن عن سكناه في وسطهم « إني أنا الرب ساكن في وسط بني إسرائيل » (عدد ٣٥ : ٣٤). مسدداً كل احتياجاتهم من كل نوع ومن كل جانب (١١ : ٣١ - ٣٢، ٢٠ : ٢ - ١٣).

ورغم تذمرهم المتواصل كان الرب عاضداً لهم، رحيماً عطوفاً عليهم، ليمتلكوا الأرض التي وعد بها الآباء (٢١ : ١ - ٣، ٢١ : ٣٥، ٣١ : ١ - ٥٤). كما حفظهم الله من مرارة وحقد بالاق بن صفور الشرير ملك موآب (أصحاح ٢٢ - ٢٤) .

رؤى بلعام (٢٢-٢٤)

بلعام بن بعور وهو ساحر بابلي من فتور التي على النهر (٢٢:٥)، كان عليه أن يطيع أمر إله إسرائيل حتى وإن

كان بالاق بن صفور ملك موآب قد وعده بالشيء الكثير حتى يلعن شعب الرب (٢٢ : ١٢، ١٧، ٢٣ : ٨ - ١٠). لأن شعب إسرائيل شعب مميز خصصه الرب لذاته (تث ٧ : ٦، ٧ب - ٨). فلا سحر ولا شعوذة أو إغراء مادي سخي يمنع بركات الرب عن هذا الشعب .

وقد زعم كثيرون أن بلعام بن بعور كان نبياً للرب. إلا أن علماء الكتاب المقدس يرون بأنه كان رجلاً ساحراً شريراً (يش ٢٢:١٣) أتى من بلاد ما بين النهرين حيث عبادة الأوثان (تث ٢٣ : ٤ - ٥). وقد أعطاه الله طبيعة مغايرة لطبيعته، كما أعطى للأتان طبيعة الكلام على غير طبيعتها (حيوان أعجم). « فلم يشأ الرب أن يسمع لبلعام، فحول اللعنة إلى بركة لأن الرب إلهك قد أحبك » (تث ٢٣ : ٤ - ٥). كما يشير يشوع إلى ذلك بالقول « وقام بالاق بن صفور ملك موآب وحارب إسرائيل وأرسل ودعا بلعام بن بعور لكي يلعنكم. ولم أشأ أن أسمع لبلعام فباركتكم بركة وأنقذتكم من يده » (يش ٢٤ : ٩ - ١١، عدد ٣١ : ٨). وحول إلهنا اللعنة إلى بركة (نحميا ١٣ : ٢). وعلى شعب الرب أن يذكر هذا حتى يعرف إجادة الرب، وليس مثله بين الآلهة قدوس ومحب (ميخا ٦ : ٥، قارن رؤيا ٢ : ١٤، يهوذا ١١ - ١٣، ٢بط ٢ : ١٥ - ١٧) إنه بلعام بن بعور العراف الذي أحب أجرة الإثم (يش ٢٢:١٣، عدد ٨:٣١).

برية سيناء للتقويم والتدريب

استخدم الرب برية سيناء، لتدريب وتهذيب شعبه، بالوصايا والأحكام والشرائع. وعاقبهم على أعمال التمرد التي أظهروها نحو إلههم فاديهم ومنقذهم، ونحو قادته أيضاً. وقد حل قضاء الله عليهم جميعاً لأعمالهم الشريرة والتنكر لمراحمه (١١ : ١ - ٣، ٢١ : ٦، ٢٥ : ١ - ٥، ٦ - ١٣). كما حل قضاء الرب على جماعة اللاويين (١٦)، وعلى مريم أخت هرون وموسى (١٢ : ١٠). ثم على موسى وهرون أيضاً (٢٠ : ١٢، ١٣) .

أربعين سنة في البرية – لماذا؟

في أصحاحي (١٣، ١٤) نجد الإجابة على تساؤل هام هو : «أربعين سنة في البرية– لماذا؟». لقد أمضت إسرائيل أربعين سنة في البرية هي مدة تيهانها في الصحراء حتى يفنى الجيل الذي أشاع المذمة الرديئة والتي أفقدتهم كل ثقة في الرب إلههم بقولهم «حقاً أن الأرض تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة وعظيمة جداً» (عدد ١٣:٢٦-٣٢). «وقد رأينا هناك الجبابرة ... فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم» (عدد ٣٣). وهذا التعبير يكشف عدم الإيمان أو الثقة في الرب، الذي أجرى في وسطهم آياته وعجائبه (١٤:١٠-١٢، ٢٢). فكان كلام الرب إلى موسى عن هذه الجماعة وكل من استمع إلى كلام مذمتهم : «لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون» (قارن عدد ١٣:٣٠). وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض ... كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض، أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي» (١٤:٢٦-٣٥). «فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الأرض بالوبأ أمام الرب. وأما يشوع بن نون وكالب بن يفنة من أولئك الرجال الذين ذهبوا ليتجسسوا الأرض فعاشا » (١٤:٣٧-٣٨).

لقد كان الهدف الرئيسي من التيهان في البرية كما يرى علماء الكتاب هو التطهير والتدريب، وربطهم بشخصه القدوس المحب، لمسئولية تاريخية هامة تنتظرهم عند دخولهم أرض الموعد، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً. وقد تم هذا بحلوله القدوس في وسط شعبه بوسيلتين :

الوسيلة الأولى : عن طريق خيمة الاجتماع

(خروج ٣٣ : ٧ - ١١، عدد ١١ ١٦ - ١٧، ٢٤ - ٢٦، ١٢ : ١ - ٨، قارن تث ٣١ : ١٤ - ١٥، قارن عن

الخيمة خروج ٢٦ - ٢٧، ٣٥ - ٣٨). وكان الرب ينزل من السماء في عمود سحاب إلى باب الخيمة ويتحدث مع موسى النبي وجهاً لوجه كما يكلم الإنسان صاحبه (خروج ٣٣ : ١١). إنها خيمة أو مكان الاجتماع بين الله وموسى وسيط الشعب، والإله الممجد الخالق والفادي. ومن لديه من الشعب مشكلة كان يتقدم بها إلى موسى حتى يرفع طلبته إلى الله .

الوسيلة الثانية : تابوت عهد الرب

كان تابوت عهد الرب هو الوسيلة الثانية التي بها يحل الرب وسط شعبه (قارن خروج ٢٥ : ١٠ - ٢٢، ٣٧ : ١ - ٩) في صورة غير مرئية. ولهذا اختلفت ديانة إسرائيل عن باقي الديانات الأخرى للشعوب الأجنبية، حيث كانوا يصنعون التماثيل للآلهة والإلاهات في هياكلهم (قارن خروج ٣٤ : ١١ - ١٧) .

وآمن الشعب بحضور الرب في وسطهم بصورة غير مرئية. وفي زمن التيهان أو الحرب كان الرب يتقدمهم في تابوت العهد، وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول : «قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل »(عدد ١٠ : ٣٥ - ٣٦). وكان التابوت يوضع في الخيمة في سيناء (عدد ٧ : ٨٩، قارن ٢صم ٦ : ١٧، ٧ : ٢، خروج ٢٠ : ٢ - ٣، ٢١، وأيضاً خروج ٢٥ : ٢٢).

لقد أدركت إسرائيل أن لله وحده السيادة والقضاء. ولا يترك من يرتد عنه ويدير له القفا لا الوجه، بغير محاكمة أو تأديب.

ولأن يهوه هو رب التاريخ، وقصد أن يعطي لشعبه الأرض ولنسلهم من بعدهم كما وعد الآباء، اختار إسرائيل وقطع العهد معهم وظل أميناً معهم، رغم عدم أمانتهم. وسار بهم رغم محاولات الشعوب الأخرى أعاقة طريقهم وعرقلتهم. ودخلوا أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً بقوة الله ونعمته لهم، وليس عن استحقاق (انظر تث ٧:٧، ٨)

إعلان قداسة الله ومحبته الكاملة

إن الأحداث التاريخية لسفر العدد مع الشرائع والأحكام والوصايا الإلهية استهدفت إعلان قداسة الله. فهو القدوس المحب الرؤوف، ولن يسمح الله لإسرائيل بأن تتمادى في السير وراء آلهة غريبة أجنبية (الزنى الروحي)، الذي نجم عنه كل أنواع الشرور (سفر العدد ٢٥ : ١ - ١٨). وهو الإله القدوس الطاهر. وعندما تمكن الشعب من المثول أمامه كان لهم التمتع بسكناه في وسطهم، بسبل العبادة التي رسمها لهم: مسكن الشهادة (خيمة الاجتماع)، وخدمة الكهنة واللاويين، وتقديم الذبائح في المواسم والأعياد، وإعلان سيادته وسلطانه عليهم في العبادة اليومية .

لقد كانت هناك دائماً فرصة لغفران الخطايا بالتوبة الصادقة قدامه (١٤ : ١٨ - ٢٠) .

وقد أكد السفر هذه الحقائق الهامة عن طبيعة الله وقدرته وعظمته في أعماله وأياته العجيبة. وكان على إسرائيل أن تُظهر ولاءً كاملاً وأمانة لعهده، وثقة كاملة في مواعيد الرب وإعترافاً بسيادته وقداسته، واتكالاً عليه في الحاجة، وفي الشرور والأخطار التي تواجهها. وعلى كل إنسان يعرف الله، أن يقّدر بمحبة، كرامة أخيه الإنسان وما له من قدرات ومواهب. ويُظهر اهتماماً وعناية بأخيه البائس، معلناً استعداده ورغبته في التعاون معه، ويكون له قدوة طيبة ليتعرف على إلهه (يهوه). فلا يكون سبباً في ابتعاد أخيه عن الإله الحي ويضل بالسير وراء آلهة أخرى وثنية من صنعة الناس .

مما سبق يمكننا أن نرسم صورة مباركة صادقة، لمحبة الله القدوس، لشعب عنيد غليظ القلب حيث أظهر لهم لطفاً ورحمة ليجذبهم إليه، كما استخدم عصا التأديب لتقويمهم وتقديسهم. إنه هو ذاته الإله غير المتغير والثابت الذي

يبقى أميناً إلى المنتهى. لن يقدر أن ينكر نفسه، مجدداً عهده في شخص ربنا وفادينا يسوع المسيح ابنه الكريم. إنه لا يزال يعتني ويهتم، ويقود منقذاً كل من يأتي إليه، ويستجيب لدعوته وندائه. وهو الذي يؤدب في حبنه لأنه الإله المحب. فلا يدع خرافه تضل لتكون لقمة سائغة في فم الأسد الذي يجول ويصول للنهش والافتراس .

سيظل رباً للتاريخ ولن تستطيع قوى الأرض أن تعيقه من تحقيق مقاصده، وهو الإله القديم الذي لا يزال يعمل إلى اليوم كما ورد عنه في سفر العدد ، ومع الإنسان المعاصر، بذات المحبة المتأنية الباذلة الصابرة، وبذات القداسة. ولنا في المسيح يسوع النعم والأمين (عب ٧ - ١٠).

الله وسط شعبه في البرية

يتحدث الجزء الأول من سفر العدد عن إسرائيل كشعب اختاره الله فضلاً، ليعملوا كمشيئته حسب تعاليمه لهم بواسطة موسى، الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك، الذي قبل أقوالاً حية ليعطينا إياها نلهج فيها نهاراً وليلاً. وهي تتحدث إلينا إلى اليوم وإلى الأبد. لم تُنقض ولم تستبدل (أع ٧:٣٧- ٣٨، قارن مت ١٧:٥: ١٨).

أما عن تجسس الأرض وما نجم من يأس وفشل وإشاعة المذمة بين الشعب (أصحاح ١٣)، ففيه تعليم لنا ودعوة للإيمان والثقة بالإله القدير. إنه الرب (يهوه) الذي ظهر لموسى وأعلن له عن اسمه. ولن يتحقق للإنسان النجاح الكامل بدون الله (أصحاح ١٤). كما تجلت رحمة الله ومحبته المتفاضلة في صنع الحية النحاسية ورفعها على راية حتى كل من لدغ من الحية ورفع بصره إليها يحيا (٢١ : ٤ - ٩، قارن يوحنا ٣ ١٤). إنه درس في الطاعة والإيمان، ولنا في رؤى بلعام درس عظيم كما يرى أحدهم بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (عدد ٢٢ - ٢٤) .

وبالإجماع فإن سفر العدد يعلن بر الله وعدله مع محبته ورحمته في قيادة شعبه وإرشاده لهم في كل مكان وزمان، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة .